

العالم المتكلم المرشد الناصح بالصلاح الداعي إلى الحق مطبقاً له

مقومات الداعية الناجح.. في ضوء الكتاب والسنة

■ لا يكون الداعية إلى الله مستقيماً

حكيمًا إلا بالعلم الشرعي بإجماع من العارفين

لا ريب أن الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه القويم من أرفع المراتب، وأسمى المقامات، وكل مسلم صادق أمثلته أن يكون موصوفاً بالداعي إلى الله؛ لينضم إلى ركب الخلف المصطفين من عباده؛ حيث لا أحسن متحدثاً أو متكلماً أو مرشداً من الداعي إلى الله تعالى، كما قال تعالى: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» «فصلت: 33»، وعن الحسن البصري -رحمه الله- إنه تلا هذه الآية: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إنني من المسلمين. هذا خليفة الله.

والعلم من أعظم المقومات للداعية الناجح، وهو من أركان الحكمة، ولهذا أمر الله به، وأوجبه قبل القول والعمل، فقال تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَتَوَاتُكُم» «سورة محمد، الآية: 19».

ولا يكون الداعية إلى الله مستقيماً حكيمًا إلا بالعلم الشرعي، وإن لم يصحب الداعية من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه، فسلوكه على غير طريق، وهو مقطوع عليه طريق الوصول، ومسود عليه سبيل الهدى والفلاح، وهذا إجماع من العارفين.

ولاشك أنه لا ينبغي عن العلم إلا قطع الطريق، ونواب إبليس وشُرطه. وقد مدح الله -عز وجل- أهل العلم وبين فضله، والتي عليهم، قال سبحانه: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» «سورة الزمر، الآية: 9»، «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ بَرَجَاتٍ» «سورة المجادلة، الآية: 11»، «إِنَّمَا يُخَشِئُ اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ» «سورة قاطر، الآية: 28»، «وَيَنْ سِجْنَاهُ أَنْ الْعِلْمَ نُورٌ لِنَاجِيهِ وَالْعَمَلُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، «أو من كان مَنَافِعَ فَاحْتِنَاءٍ وَخَفَلْنَا لَهُ نُورًا يَشْهِي بِهِ فِي النَّاسِ كَيْفَ مَثَلِهِ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارٍ مِنْهَا كُلُّهُ زَيْنٌ لِلْعَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ» «سورة الإنعام، الآية: 122»، «وَكَذَلِكَ أُوحِيَ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَرْسِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنَّ جَهَنَّمَ نُورًا يُهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا» «سورة الشورى، الآية: 52»، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من يرد الله به خيراً يفقه في الدين» وقال: «مثل ما يعبدني الله به من الهدي والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلا، والغلب الكثير، وكان منها أجاباً أمسكت الماء ففحق الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان؛

الوحدة منجز مقدس إذا تحققت بمفهوم لا يتعارض مع الثوابت العقدية

ثقافتنا بين التعددية الفكرية.. والوحدة الوطنية



الوحدة الوطنية لا تتعارض مع الثوابت الدينية

■ قيم الثقافة الوطنية

هي في الحقيقة قيم

الإسلام الحنيف والأمة

العربية الأصيلة

تجد في حياة الأمم والشعوب عبر تاريخها الحضاري كثيرا من القضايا والمشكلات، بعضها ذات خطر عظيم، وأهمية كبرى لارتباطها بالانتماءات القومية والأهداف القومية، وما يستلزمه ذلك من معالجات وحلول تنسجم مع المرجعية التشريعية والقيم الأخلاقية من ناحية، ومع العقل والواقع من ناحية أخرى ومهما اختلفت وجهات النظر وتعددت الآراء وتنوعت الرؤى والتساؤلات لدراسة تلك القضايا والمشكلات فإن هناك أمرين مهمين ويعين مبدئين ينبغي استحضارهما والتقدم بما يفرصانه من ضوابط وقواعد ومحددات: تشكل في بعض أبعادها خطوطا حمراء لا يسمح بتجاوزها مطلقا.

الأمر الأول: الوحدة الوطنية التي هي في الحقيقة المنجز المقدس، إذا تحققت تلك الوحدة كمنموذج واع فريد في أروع صورة وأجمل تطبيق واصطبغت بالصيغة الوطنية المميزة بمفهوم حديث لا يتعارض مع الثوابت العقدية والشرعية والعادات والتقاليد العربية الإسلامية، بل منها ينطلق وعليها يعتمد ويستلهم الدروس والعبر وفي الوقت نفسه تتجاوب مع متطلبات الحركة التاريخية على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي باعتبارية فذة ونوازٍن بديع، إن هذا المنجز المقدس لا يصح أبدا الإخلال به، ولا التأثير عليه بما ينال من موانئه وخصائصه، أو يزعزع ثوابته ويشكك في تاريخه وتجلياته، كما يجب أن ينظر الجميع إلى هذه الوحدة بأنها من أجل النعم وأحقها بالشكر، وأن تدرج تحت رايثها الآراء وإن اختلفت والرؤى وإن تناقضت لمصيرها هذه الوحدة في بوقته

■ الأخلاق العالية والفضائل السامية التي تمثلها المسلمون في حياتهم خير وسيلة للدعوة

لا تمسك ماء ولا تثبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله وتلقه ما يعثني الله به ففهم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي

أرسلت به».

وهذا يدل على أهمية العلم للدعاة إلى الله تعالى، وأنه من أهم المهمات، وأعظم الواجبات؛ ليدعو الناس على بصيرة.

فيجب أن يكون الداعية على بينة في دعوته؛ ولهذا قال سبحانه: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» «سورة يوسف، الآية: 108»، والعلم الصحيح مرتبط على كتاب الله وستة رسوله -صلى الله عليه وسلم-: لأن كل علم يتلقى من غيرهما يجب أن يعرض عليهما، فإن وافق ما فيهما قبل، وإن كان مخالفاً وجب رده على قائله كائناً من كان.

ووسيلة الدعوة الأولى إلى الله تعالى هو القول باللسان، وتبليغ الشرع بفنون المنطق وبديع البيان، واستخدام هذه الوسيلة يتفاوت فيها



■ الأخلاق العالية والفضائل السامية التي تمثلها المسلمون في حياتهم خير وسيلة للدعوة

الدعاة تفاوتوا عظيمًا، فمنهم من أوتي البيان وبلاغة القول، حتى ليملك السامعين بحسن ظلمه وترتيب قوله، وقوة حجته، وحضور بديته، ومنهم من دون ذلك بمراتب، حتى ليوجد من يوصف بالحصر والعجز والكلته، وذلك محض فضل الله يؤتیه من يشاء.

ولكن الوسيلة التي لا يسع الدعاة عدم القيام بها، وهي أعظم من القول الزار، وأفضل قرأ، هو أن يدعو المسلم بفعله قبل قوله؛ لأن الفعل في نظر الخلق أصدق لهجة، وأبين حجة، وأظهر صدق.

ولذلك كان صدق الأفعال من أبن ما يدل على صدق الداعية في قوله؛ لأن الأفعال هي أصدق برهان في إيمان ما يدعو إليه الإنسان، وأجلى ما يؤثر في المدعو عند دعوته بالقول.

وقد كان صدق الفعل هو أحد دلائل صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- في دعوته بقوله: لأن قريشا لو وجدت سبيلا في طعن صدق النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله، وأنه يخالف قوله فعله، كما

■ العلم من أهم المهمات وأعظم

الواجبات للدعاة لأولئك يدعون الناس على بصيرة

تواتت في إشاره، ولجعلته سبيلا في الطعن في رسالته.

وقد جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- قريشا يقرّون بصدق قوله المطابق لفعله، ولا يجدون جوابًا حينما جمعهم على الصفا وقال لهم -صلى الله عليه وسلم-: «أرايتم لو أني أخبرتكم أن خيلاً يبطن هذا الوادي تريد أن تغير عليكم، أو كنتم مصدفي؟! فقالوا جميعاً: ما جربنا عليك كذبًا»، وفي رواية: «ما جربنا عليك إلا صدقا».

وأكثر ما دعا غير المسلمين للدخول في الإسلام هو هذه الأخلاق العالية والفضائل السامية التي تمثلها المسلمون في حياتهم، وعاملوا بها غيرهم، يؤكد ذلك انتشار الإسلام في أقصى العالم، وخاصة في شرق آسيا، ولم يبعد أن المسلمين قد دخلوا تلك البلاد محاربين فاتحين، كما حصل في البلدان المجاورة لعواصم الإسلام.

والداعي بقوله، وبفنون بديع

بيانه، عندما لا يعيا بأفعاله ولا

يلجئها، حتى لا تخالف قوله وبيا

يدعو إليه، هو في الحقيقة صائر

عن سبيل الله، فاتن لعباد الله

في الدخول في دين الله؛ لأن دلالة

حاله صارخه في وجه كل مريد

للدخول في الدين، بأن هذا الداعي

لو كان صادقا فيما يدعو إليه، لكان

أولى الناس استجابة لما يدعو إليه

هو نفسه التي ين جنبيه، ولما

تجرا في مظاهرة مخالفة قوله، بل

الوصف الصادق لذلك الداعي عند

كل الغلاء أنه كذاب متلاعب.

ولذلك ورد الوعيد الشديد فيمن

يأمر بالمعروف ولا ياتيه، وينهى

عن المنكر ويأتيه، فقد ذم الله

من أعظم المفساد الأخلاقية وداء يدل على نقصان الفطنة وطمس نور العقل

الغرور.. معول هدم وتدمير للأفراد والمجتمعات

■ يسيّر وراء

شهواته ونزواته

غير عابئ بنظر

الله إليه ولا مكرث

بالناس

ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا تترك اليقين للشك، وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان

وإما بالبرهان.

فأما التصديق بالإيمان فهو أن

يصدق الله تعالى في قوله: «ما

عندكم ينقد وما عند الله باق»،

وقوله عز وجل: «وللآخرة خير

لك من الأولى».

فيا أيها العبد الضعيف: إن الله

عز وجل حذرَك من الوصول إلى

هذا الحال، وأعلمك بقرب وقوفك

بين يديه للحساب والجزاء في

يوم تنسب ليهول البولدان «يا

الذين قالوا: النقد خير من النسبئة

«ولنراد بالنقد البيع المعجل،

والنسبئة هي البيع الأجل»؛ والدنيا

نقد والآخرة نسبئة، فالدنيا إذن

خير من الآخرة فلا بد من إبتارها،

وأن يصلحنا ظاهرا وباطنا وأن

يقينا شر الغرور.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا يدخل الجنة

من كان فجي

قلبه مثقال ذرة

من كبر

الغرور معول هدم العلاقات الاجتماعية

■ من أهم الأسباب الباعثة على تمكن هذه الآفة من النفوس

هو الجهل بحقيقة النفس

ثم ذكر رحمه الله غرور الكفار، فمنهم من غرته الحياة الدنيا، ومنهم من غرّه بالله الغرور، أما الذين غرّتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا: النقد خير من النسبئة «ولنراد بالنقد البيع المعجل، والنسبئة هي البيع الأجل»؛ والدنيا نقد والآخرة نسبئة، فالدنيا إذن خير من الآخرة فلا بد من إبتارها، وقالوا أيضا: اليقين خير من الشك

بصفات الرب جل وعلا، فإذا جهل الإنسان كل هذه المعاني رفع نفسه فوق قدرها، وترفع على الخلق، وتكبر على الله فصار من المغرورين.

ذكر بعض العلماء أن الغرور

انواع، وهي متفاوتة، يقول

الغزالي رحمه الله: اقله أنواع

الغرور وأشدها غرور الكفار

وغرور العصاة والفاسد،

وكيف اجترأت على ربك فاضعت ما وجب عليك، وأرتكبت ما حرم عليك، وهذا توبيخ وتبكيت للعبد المغرور الذي سكت نفسه إلى ما يوافق هواها ولو كان فيه ما يغضب الرب تبارك وتعالى.

إن أحد الأسباب الباعثة على تمكن هذه الآفة من النفوس هو

الجهل بحقيقة النفس،

والجهل بحقيقة الحياة،

والجهل بحقيقة النفس،

والجهل بحقيقة الحياة،

والجهل بحقيقة النفس،

والجهل بحقيقة الحياة،

يعني: ما خدعك وسؤل لك ؟